لـــوط عليه الســـلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الصافات: ١٣٣-١٣٨]

صدق الله العظيم

obeikandl.com

obeikandl.com

آمن لوط عليه السلام برسالة عمه خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام.. فهو ابن هاران شقيق إبراهيم، وقد تبناه عمه، وآثر لوط العيش مع عمه وهاجر معه من بابل إلى حاران، وتزوج، ثم هاجر إلى الشام، وفى الشام طلب من عمه أن يتجه نحو سدوم فى الأردن ليستقر بها، ويدعو إلى التوحيد فيها، ووافق عمه على ما انتواه ابن أخيه لوط، وزوده ببعض الماشية والأغنام والمال.

واستقر لوط فى مدينة سدوم.. وفوجىء بأن هذه القرية تمتلىء بالمحرمات والشذوذ، وأن الناس هناك يأتون الرجال شهوة من دون النساء.

ولم يقتصروا على هذا الفعل المشين، بل أنهم كانو إلى جانب ذلك قطاع طرق لا يأمن أحد يدخل قريتهم هذه من الاعتداء عليه، وسلب أمواله وما كان يمكن أن يرى لوط كل هذا الفجور ويلوذ بالصمت.. وأوحى الله إليه أن ينذر هؤلاء الناس ويدعوهم للطاعة والبعد عن كل ما ينافى الفطرة السليمة.

ولكن لم يجد أذناً صاغية، ولا بصيرة تفرق بين الهدى والضلال، ولا عيوناً ترى الفضائل. لقد أصموا آذانهم، وأغلقوا

عيونهم، وتركوا لأهوائهم التمرد على كل ما هو أخلاقى.. لقد عثوا فى الأرض فساداً.. ولم يستوعبوا دروس لوط لهم ولم يخشوا ما توعدهم من العقاب، بل طلبوا منه أن ينزل بهم العقاب الذى يتوعدهم به لو كان صادقاً.

وكان لابد أن يأتى أمر الله استجابة لدعاء لوط عليه السلام، فقد يئس من إصلاحهم، وسدت كل الطرق ليعودوا إلى صوابهم.

وذات يوم رأى خليل الرحمن أمراً عجباً.. فقد نزل عنده بعض الضيوف، وقدم لهم ما ينبغى أن يقدم للضيوف من طعام، ولكنه وجدهم لا تمتد أيديهم إليه، هناك أحس خليل الرحمن بالخوف منهم، ولكنهم طمأنوه أنهم رسل الله من الملائكة، وأنهم سوف يذهبون إلى «سدوم»، حيث ابن أخيه لوط، فإن الله سوف ينزل العذاب بهؤلاء الناس الذين انحرفوا عن الفطرة السليمة.. وخشى إبراهيم على ابن أخيه لوط.. ولكنهم طمأنوه على لوط وأسرته إلا امرأته. لأن امرأة لوط كانت مع قومها.. وتقر أفعالهم.. فلابد أن يصبها ما يصبهم.

ودخلت الملائكة «سدوم».. ورأوا فتاة تحمل الماء.. سألوها أن تستضيفهم.. أوجفت خيفة.. وخشيت عليهم.. فهى تعلم أن قومها يأتون الرجال شهوة من دون النساء.. فطلبت منهم أن يظلوا مكانهم حتى تستأذن أباها فى ذلك.

وجاءت الفتاة تخبر أباها «لوط» عليه السلام بهؤلاء الشباب الذين طلبوا منها استضافتهم فى بيتها. . وظهرت الحيرة على وجه لوط عليه السلام.

إنه يعلم ما سوف ينتظره لو استضاف هؤلاء الشباب، فسوف يطمع فيهم أهل القرية، وسوف يضعونه فى موقف حرج للغاية، وأنّى له بالدفاع عنهم.

ولكن طبعه فى الكرم والسخاء غلب عليه، وقرر أن يذهب إليهم بعيداً عن العيون، ويستضيفهم فى بيته على ما فى ذلك من مخاطر.

ودخلت الملائكة بيت لوط عليه السلام.

وأسرعت امرأة لوط إلى قومها تخبرهم بهؤلاء الشباب الذين يستضيفهم لوط فى بيته. . !

أسرعوا إلى منزل لوط عليه السلام ليروا هؤلاء الضيوف الذين يمتازون بالجمال الفائق.

وعرف لوط ماذا يقصدون. . أخذ يحدثهم عن الفضيلة، وأن ما يفعلونه إثم لا يرضى عنه الله. . ويصور القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ

قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ ﴾[هود: ٧٧ ـ ٧٩].

ولما رأت الملائكة خوف لوط بعد أن حاور قومه ولم يسمعوا له، أخبروه أن يطمئن فهم رسل الله.

﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾ [هود: ٨١].

وكان من الطبيعي أن يعود الاطمئنان إلى قلب لوط عليه السلام فقد عرف أن هؤلاء الملائكة هم رسل الله، وأنه قد آن الأوان أن تتخلص الحياة من هؤلاء الذين يعتبرون عاراً على الحياة . . وخرج بأولاده عندما جاء المساء، ولف الدنيا ظلام الليل.

وجاء وعد الله. . فإذا بسدوم قد جاءها عقاب السماء، وأصبحت أثراً بعد عين، وقد هلك مع الهالكين امرأة لوط فقد نظرت خلفها عندما خرجت مع زوجها فأصابها حجر قضى عليها، ومضى لوط وأولاده تحت جنح الظلام.

وعندما أصبح الصباح، نظر لوط عليه السلام، فإذا به يرى هذه القرية الظالم أهلها، وقد اجتثت من الوجود. . وكأنها لم يكن لها وجود.

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [القمر: ٣٣ - ٣٩].

كلمات موحية.. وإعجاز محكم.. يصور به القرآن الكريم هؤلاء الذين أعماهم الجهل والغباء عن فهم وحى السماء، فحاق بهم ما كان يستحقونه من عذاب. ولتمضى الإنسانية بعد ذلك فى طريقها.

تضل فتأتيهم رسالات السماء نوراً وهدى ومنهج حياة.! حتى تعرف أن الفلاح والسعادة فى اتباع هذا المنهج، وأن الخسران فى البعد عنه.

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣].

وانتقل لوط عليه السلام بعد ذلك إلى مدينة «صور» حيث عاش هناك بصحبة ابنتيه «رئيا وذعرتا» .. بعد نجاتهم من هذا العذاب الذى حاق بقوم لوط.

وهذه القصة ترينا أن امرأة لوط رغم أنها زوجة نبى إلا أنها ضلت، واتبعت أهواء قومها، ولم تسمع ما كان ينادى به زوجها من هداية الله.. فكان جزاؤها العذاب شأن الذين لم يستمعوا إلى نداء الحق.. وذهبت كما ذهب هؤلاء الفاسقون من قومها إلى ما كان ينتظرهم من عذاب، وهوان.

وأن الإنسان لا ينفعه إلا السير على منهج الله، أما مخالفة هذا المنهج فهو الضلال المبين، والتيه فى متاهات الوجود.

* * *

obeikandl.com